كلمة حق لذكرى ألبرت أغازريان [1]

ألقاها د. برنارد سابيلا في مراسيم الجنازة في كنيسة الأرمن الأرثوذكس في القدس بتاريخ 1/ 2/ 2020

علّمنا ألبرت كيف أن الهوية تلتصق بالمكان، وكيف أن القدس تجمعنا رغم تعدد هوياتنا. ومثلما نعشقها فإن القدس تعشقنا. هكذا كان ألبرت متيّمًا بالقدس قديمها وجديدها. فعرف أماكنها وحاراتها وأزقتها وحكايات حجارتها وقصصها وآثارها الشعبية والبشرية على اختلافها. وقد كان دومًا يقرأ القدس وتقرأه فكان المؤرخ والراوي/ الحكواتي والمترجم، وأصبح وجهًا من وجوه القدس لا يمكن التفكير فيها دون أن يكون ألبرت فيها.

لم يتوقف ألبرت عند القدس، إذ أعطى أحلى سنوات عمره لجامعة الوطن، جامعة بيرزيت. فكان صاحب العلاقات العامة فيها وناطقها الإعلامي. ورأى في جامعته امتدادًا للقدس ولتنوعها، وأحبَّ بشكل خاص طلبتها الوافدين من قطاع غزة، كما لم يبخل بوقته وعطائه لكل الكتل والفئات الطلابية بغض النظر عن الخلفيات السياسية والاجتماعية والدينية. وكانت له المواقف المشهود لها مع الحكم العسكري، هو والمرحوم غابي برامكي، دفاعًا عن الطلبة والجامعة وحفاظًا عليها.

ولم يبخل ألبرت بمساهمات فكرية وأدبية عن القدس، كما وعمل في مجال الترجمة وأبدع

(1) نقلاً عن: نشرة "القدس بتجمعنا". تصدر عن جمعية الكتاب المقدس. القدس. العدد (14). ص: 14.

فيهـا. وخـلال الانتفاضـة الأولى كان ضمن وفـد فلسـطيني زار كلًّا من المملكـة المتحدة، بريطانيا، وشـمال إيرلندا للتشـبيك مع المؤسسـات الكنسـية هناك ومع غيرها في الخطوات المتطلبة لدعم شـعبنا المنتفض. كـما وكان من أعضاء الوفد الفلسـطيني إلى محادثات مدريد في العام 1991، حيث كان منسقًا للإعلام والتواصل مع وسائل الإعلام التي كانت تغطي المحادثات.

ولم يبخل ألبرت يومًا في تأكيد الموقف الفلسطيني حول القدس والذي تأثر ليس فقط بانزراعه الشخصي في المدينة وفي حارة الأرمن وفي هذا الدير العامر تحديدًا، بل لإيمانه بالموقف الذي دعا له رؤساء كنائس القدس بمن فيهم بطريرك الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية في أكثر من بيان تاريخي أكدوا فيه أن القدس مدينة للديانات الثلاث وللشـعبين اللذين يعيشـان فيها. وكان هـذا الموقـف هو الذي دفعه للتأكيد للرئيس أبي عمار – رحمه الله – في محادثات كامب دافيـد بـأن الحـي الأرمني هو جـزء لا يتجزأ من القـدس العربية مثله مثل حـارة النصارى وحـارة الواد. وكان ألبرت يذكر دومًا بأن الأرمن لم ينزلوا بالبراشـوت في القدس القديمة وبأنهـم منزرعـون في المدينة منذ القـرن الخامس الميلادي ومحافظون عـلى تقاليدهم وإرثهم الحضاري والديني والثقافي.

لا يمكـن التفكـير بألبرت دون التفكير بدير الأرمن وحي باب الخليل، فقد التصق الاثنان بشـخصيته. فالقـدس دون الحي الأرمني هي غير القدس ولا يمكـن التفكير بها دون باب الخليـل وبـكل ما حمل من تاريخ وذكريات للشـباب الفلسـطيني الأرمنـي منهم وغيرهم. ويذكّـرني أصحـاب ألبرت بالجلسـات الكثيرة التـي كانت في زوايا ومحـلات باب الخليل، حيـث كانـوا يلملمـون أنفسـهم لـشرب فنجـان مـن القهـوة أو أكل بعض الحلـوى، بينما يتسـامرون عن القدس وتاريخها وأصحابها وحكاياتها التي لا تنتهي، والتي تشـدهم إليها وإلى جذورهـم. وكان ألبرت مثل المايسـترو الذي كان يشـارك باسـتمرار بـما في جعبته من قصـص ومعلومـات وحكايات عن هذا الحي أو ذاك، أو عن هذه العائلة أو تلك، أو يسرد معلومـات تاريخيـة عن العلاقات الاجتماعية التي يجهلها الكثيرون. ولا يملّ من الاسـتماع لألـبرت والاسـتمتاع بما يعرضه من كنوز مقدسـية تاريخيـة تربط المـاضي بالحاضر وتؤكد جذور المقدسيين وتعاضدهم عبر العقود.

في المدة الأخيرة، وأثناء مرضه، قمت بزيارته في المشـفى وقد كانت زوجته ورفيقة دربه مع ابنتيه وابنه بقربه ليل نهار؛ للعناية به ولإعطائه الدعم اللازم في مرضه الصعب. وقد تابعتُ

أخبار ألبرت والتي لم تكن تبشر بالخير إلى أن عادت روحه الطاهرة إلى باريها.

تعـازيّ القلبيـة وتعـازي القدس وأهلهـا الذين أحبوا ألـبرت وقدّروا وجوده بمسـاهماته وبشـهادته للحياة المشـتركة في هذه المدينة المقدسـة للسـيدة مادلن أرملـة الفقيد ولكل من ابنتيه أليز وآردا وابنه آرسـن ولأخواته وعائلاتهن. أشـد على أياديكم جميعًا طالبًا من العلي القدير أن يمنحنا الشـجاعة والقوة لتكملة مشـوار ألبرت ولجعل ذكره مؤبدًا بحسن أعماله وثبات مواقفه ونبل عواطفه. الله يرحمه برحمته الواسـعة والرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب ممجّدًا إلى أبد الآبدين.